السنة النبوية وتحديات كوفيد ١٩ في ضوء قواعد الشريعة

عبد العزيز محمد عبد العزيز مصطفى.

طالب دكتوراه في جامعة يونيزا– ماليزيا.

محاضر في جامعة الهداية العالمية.

amowannes@gmail.com

ملخص البحث

للسنة النبوية دور عظيم في الطب، وأسلط في هذا البحث الضوء على السنة النبوية وعموم إصلاحها لكل شؤون الحياة عامة وللطب خاصة، فقمت باتباع المنهج التحليلي لدراسة مفهومي السنة النبوية والأوبئة بصفة عامة، ووباء كوفيد 19 بصفة خاصة، وبينت فيه معنى السنة: لغة، واصطلاحًا، ومكانة السنة النبوية، وأنها وحي من الله كالقرآن، وأنها جاءت صالحة لكل زمان ومكان، وأنها جاءت على حالات عديدة كموافقتها للقرآن، وبيانها للقرآن، وتشريع ما لم يأت في القرآن، ومن عموم دور السنة النبوية في إصلاحها للبشر: أنها جاءت لتصلح أمور الحياة ودرء المفاسد عنها، وعلاجها سواء: في الدين، أو الدنيا، ومن ذلك دورها في الطب، فالأنبياء جاءوا بالدين والطب معا، والرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من عمل بالعلاج الوقائي في الطب، وقد عمل الفقهاء بأصول فقهية تخدم علم الطب، ومن هذه الأصول: قاعدة سد الذرائع التي مفهومها قطع الوسائل الفضية إلى الفساد، وقاعدة الدوران لإثبات العلة، ثم أبين معنى الوباء، ثم أتكلم عن دور السنة النبوية في مكافحة الأوبئة، وأن دورها جاء على خطوط عريضة، وكذلك على تفصيلات دقيقة لبعض الأمراض، وأن أطباء العرب جعلوا من أدلة السنة النبوية قواعد عامة وأخرى خاصة لعلاج كل مرض، وأن هذه الخطوط العريضة منها ما يتعلق بمجال الاعتقاد ومنها ما يتعلق بمجال العبادات، ومنها ما يتعلق بمجال الطب، فكما نؤمن بأن كل شيء بقدر الله؛ فكذلك نؤمن بأن الله أمرنا بالأخذ بالأسباب؛ لمقاومة الأوبئة والطواعين، وهذا الدور يشتمل على أساليب وقائية وأخرى علاجية، وأن موقفنا من الأمصال والعقاقير الطبية لا نمانع منها بشرط ألا تشتمل على مخاطر أو محرمات تؤذي البشر، وخلصت من البحث بنتائج منها: أن السنة النبوية شاملة

لإصلاح جميع أمور الحياة من الدين والطب معًا، وأن الأخذ بها سعادة للمرء في الدنيا والآخرة، وأوصيت بالاهتمام بدراسة الطب العربي ومتابعة تطوره في الدول الأخرى.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية– الطب– الوباء– أطباء العرب– الأمصال

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد.

فإن للسنة النبوية مكانةً عظيمةً في الإسلام، يجهلها كثير من العوام، ويظنونها ليست ملزمة: من أخذها أجر، ومن تركها ما أثم، على ظنهم، ولكني في هذا البحث أسلط الضوء على العلاقة بين السنة النبوية والطب، ودور السنة في مكافحة الأوبئة، ومنها هذا الوباء المعاصر.

وقد دار البحث حول مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة تشتمل على نتائج البحث، وتوصياته، ثم فهرس المصادر والمراجع.

الفصل الأول: السنة النبوية: معناها، ومكانتها، وحالاتها، ودورها في الإصلاح:

المبحث الأول: معنى السنة

المطلب الأول: معنى السنة لغة:

المطلب الثاني معنى السنة اصطلاحًا:

المبحث الثاني: مكانة السنة النبوية، وحالاتها:

المطلب الأول: السنة وحي من الله كالقرآن.

المطلب الثاني: حالات السنة النبوية.

الفصل الثاني: دور السنة النبوية في إصلاح الحياة بصفة عامة وفي الطب بصفة خاصة:

المبحث الأول: دور السنة النبوية في إصلاح الحياة بصفة عامة:

المطلب الأول: السنة النبوية صالحة لكل زمان ومكان:

المطلب الثاني: عموم السنة النبوية لجميع أبواب المعاملات.

المبحث الثاني: دور السنة النبوية في الطب بصفة خاصة:

المطلب الأول: الأنبياء جاؤوا بالدين والطب معًا.

المطلب الثاني: كثير من قواعد الشريعة تخدم علم الطب.

الفصل الثالث: معنى الوباء، ودور السنة النبوية في مكافحته، وجهود أطباء العرب، وموقفنا من الأمصال.

المبحث الأول: معنى الوباء ودور السنة النبوية في مكافحته.

المطلب الأول: معنى الوباء.

المطلب الثاني: دور السنة النبوية في مكافحة الوباء.

المبحث الثاني: جهود أطباء العرب، وموقفنا من الأمصال.

المطلب الأول: جهود أطباء العرب.

المطلب الثاني: موقفنا من الأمصال.

خاتمة، وتشتمل على:

نتائج البحث:

توصيات البحث:

فهرس المصادر والمراجع:

الفصل الأول: السنة النبوية: معناها، ومكانتها، وحالاتها، ودورها في الإصلاح:

المبحث الأول: معنى السنة

المطلب الأول: معنى السنة لغة:

أَصْلُهَا من الفعل الثلاثي: سَنَّ، يَسُنُّ، سَنًّا، والسَّنُّ: المصدر، والسَّنَنُ الاسم بمعنى المسنون، والسُّنَّةُ مأخوذَةٌ من السَّنَنِ، وهو الطريق، وحروفه: السين، والنون المضعفة، قال ابن فارس: "السينُ، والنونُ: أَصْلٌ واحدٌ مطَّرِدٌ، وهو: جريانُ الشيءِ، واطِّرادُه في سهولةٍ، والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماءَ على وجْهي أَسُنُّه سَنًّا، إذا أرسلْتُه إرسالًا، ثم اشتُقَّ منه رجل مسنون الوجه، كأنَّ اللحم قد سُنَّ على وجهه، والحَمَأُ المسنون من ذلك، كأنه صُبَّ صبًّا" (ابن فارس، 2008م، ص 453).

المطلب الثاني معنى السنة اصطلاحًا:

السنة في الاصطلاح لها إطلاقاتٌ أَرْبَعَةٌ:

الإطلاق الأول: تُطْلَقُ على ما يقابل القرآن: أي: قول النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن ولو بكتابة، وفعله، ولو بإشارة، وإقراره، وزِيدَ الهَمُّ (ابن النجار، 2000م، ص100)، والتعريف الأشهر: "ما نُقِلَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم قولًا، أو فعْلًا، أو إقرارًا" (ابن المبرد، 2012م، ص 100)، وهذا في عرف الأصوليين.

الإطلاق الثاني: تطلق على الواجب، وغيره، وعلى صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخُلُقِيَّة، والخِلْقِيَّة، وهي: "قول النبي صلى الله عليه وسلم، وفعله، وتقريره مما لم ينطق به الكتاب العزيز صريحًا "وهذا في عُرْفِ اللغويين، والْمُحدِّثين (التبريزي، 2008م، ص 114).

الإطلاق الثالث: تُطْلَقُ على: ما ليس بواجب، وهذا هو الغالب على ألسنة الفقهاء ... وعلى هذا ينبغي أن يقال: ما رسم لِيُحْتَذَى استحبابًا (أبو يعلى، 1993م، ص 166)، أي يقصد به: الاستحباب.

الإطلاق الرابع: تُطْلَقُ على: ما يقابل البدعة، فيقالُ: أهلُ السنةِ، وأهلُ البدعةِ (ابن النجار، 2009م، ج2، ص160)، والذي يظهر أن هذا مختصٌّ باصطلاح علماء أصول الدين.

المبحث الثاني: مكانة السنة النبوية، وحالاتها:

المطلب الأول: السنة وحي من الله كالقرآن.

قال الله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) النحل: 44، فقوله تعالى: (الذِّكْرَ) هنا هو: الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبينًا للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة (البغوي، 1411ه، ج5، ص21).

فالحديث النبوي حجة بنفسه، ويكتسب حجيته من أدلة القرآن الآمرة بطاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال السيوطي: "من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم: قولًا، كان، أو فعلًا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام" (السيوطي، 1347ه، ص 2).

المطلب الثاني: وجوه السنة النبوية.

السنة النبوية لها وجوه عديدة، ذكرها كثير من العلماء، وأول من صرَّح بها هو الإمام الشافعي كالآتي:

الوجه الأول: أن توافق القرآن، مثل أن يقول الله: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) البقرة: 43، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس) وذكر منها: (وإقام الصلاة). (البخاري، 1998م، ص 25).

الوجه الثاني: أن تبين القرآن، مثل بيان السنة لمجمل الصلوات ببيان ركعاتها، وأركانها ونحو ذلك، ومثل تخصيص العام، وتقييد المطلق، ونحوه، يقول الشافعي: "وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما" (الشافعي، 2008م، ص 154).

الوجه الثالث: أن تُشَرِّعَ ما ليس في القرآن، فمنهم من جعلها وجهًا مستقلًّا ثالثًا بأمر الله له، ومنهم من ألحقها بالوجه الثاني، وقيل غير ذلك، ولم يختلفوا في حجيتها، وإنما في عدِّهَا وجهًا مستقلًّا، ومن أمثلتها: تحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم لبس الذهب للرجال، وغير ذلك (الشافعي، 2008م، ص 154).

الفصل الثاني: دور السنة النبوية في إصلاح الحياة بصفة عامة وفي الطب بصفة خاصة:

المبحث الأول: دور السنة النبوية في إصلاح الحياة بصفة عامة:

المطلب الأول: السنة النبوية صالحة لكل زمان ومكان:

وهذه الصلاحية للسنة النبوية اكتسبتها من كونها وحيًا من الله، ووحي الله صالح لكل زمان، ومكان، قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) الأنبياء: 107، واكتسبتها كذلك من كون الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قال الله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) الأحزاب: 40، فليس بعده نبي، قال صلى الله عليه وسلم: (لا نبي بعدي) (البخاري، 1998م، ص 665)، فكونه خاتم الأنبياء يدلّ على بقاء شريعته، ووجوب العمل بها إلى يوم القيامة، ولا معنى لختام النبوة به إلا أنه جاء بشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

كما أن عموم هذه الشريعة وشمولها لكل نواحي الحياة يدلُّ يستلزم صلاحيتها لكل زمان ومكان، ولهذا قال المشركون لسلمان الفارسي رضي الله عنه: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو نستنجي برجيع أو بعظم. (مسلم، 1998م، ص 129- 130).

المطلب الثاني: عموم السنة النبوية لجميع أبواب المعاملات.

فمن يطالع كتب السنة والحديث خاصة المبوبة على أبواب الفقه؛ فإنه لن يجد بابًا من أبواب العبادات، ولا المعاملات، إلا وفي السنة النبوية تفصيل له: بدءًا من كتاب الطهارة، وانتهاء بباب العتق، وما بينهما كَمٌّ هائل، ونظام شامل، وقانون ودستور لحياة البشر.

عناية السنة النبوية بالطب.

فهذه كتب السنة النبوية مليئة بالأحاديث والآثار عن الطب الذي هو موضوع بحثنا، ففي صحيح البخاري وحده: مئة وستة أحاديث، وفي سنن أبي داود: واحد وخمسون حديثًا، وفي سنن الترمذي: خمس وخمسون حديثًا، وفي سنن ابن ماجهْ: مئة وخمسة عشر حديثًا.

كذلك الأحاديث التي تتكلم عن الطب في كل الصحاح والسنن، ولم يتم إدراجها تحت أبواب الطب.

وهذا غير التي في المسانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية؛ فهذا كَمٌّ وعددٌ هائل لمن نظر وتفقه فيه.

وقد جمع أحد الباحثين الأحاديث التي في الطب النبوي، فبلغت ستمائة وتسعة وخمسين حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم (زبيلة، 1408ه، ص 6).

المبحث الثاني: دور السنة النبوية في الطب بصفة خاصة:

المطلب الأول: الأنبياء جاؤوا بالدين والطب معًا.

وذلك من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

ففي عهد آدم عليه السلام: ألهم الله ابن آدم القاتل بدفن أخيه المقتول في التراب؛ لئلا ينتن، فيؤدي ذلك لانتشار الأمراض؛ فهذا لا شك فيه أنه من الطب الوقائي.

وفي عهد موسى عليه السلام حينما سأله قومه: (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) البقرة: 61.

والذي هو خير: الْمَنُّ والسلوى، وكلاهما طبعه حار، والذي هو أدنى هي البقوليات وأغلبها باردة، والقِثَّاء، والعدس: باردان، وتفضيل الحار على البارد معلوم (التركماني، 2000م، ص 175، 368).

وفي عهد عيسى عليه السلام: أعطاه الله معجزة إبراء الأكمه والأبرص، وهذا من الطب بلا شك.

وأما النبي محمد صلى الله عليه وسلم: فقد أَرْسَى قواعدَ الطب، فأجمل فيها وفصَّل، ويكفي مطالعة ما جمعه أئمة السنة في ذلك، وشروح العلماء عليها.

فتبين من ذلك أنَّ الدين والطب مقترنان، لا ينفكان عن بعضهما، قال الشافعي: العلم علمان: علم الدين، وعلم الدنيا، فالعلم الذي للدين هو: الفقه، والعلم الذي للدنيا هو: الطب (ابن أبي حاتم، ص: 244).

المطلب الثاني: كثير من قواعد الشريعة تخدم علم الطب.

وقد عمل الفقهاء بأصول فقهية مستنبطة من القرآن والسنة النبوية، وإليك بعض هذه الأصول والقواعد:

القاعدة الأولى، قاعدة: سد الذرائع:

معناها لغة: مكونة من كلمتين: سدَّ، وذرع، فأما السَّدُّ: فهو: كل حاجز بين الشيئين (ابن فارس، 2008م، ص455).

والذرائع، جمع ذريعة، وهي: من ذَرَعْتُ البعير: أي: وطِئْتُ على ذراعه ليركبَ صاحبي (ابن فارس، 2008م، ص 365) فهي بمعنى الوسيلة للشيء.

معناها اصطلاحًا: حسْمُ مادةِ وسائلِ الفسادِ دفْعًا له. (القرافي، 1994م، ج1، ص 152).

ودليل هذه القاعدة من السنة هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه). (مسلم، 1998م، ص 651).

علاقة هذه القاعدة بالطب بصفة عامة، وبوباء كوفيد 19 بصفة خاصة:

فأما علاقتها بالطب عامة: هذه القاعدة تدعو إلى تجنب أسباب الفساد، سواء المحرمات، أو الأمراض بصفة عامة.

فالمحرمات فساد في الدين والدنيا، والأمراض فساد في الدنيا، وقد يؤثر على الدين.

وأما علاقتها بكوفيد 19 خاصة: فجميع الإجراءات الوقائية من لبس الكمامات، وتجنب الاختلاط بالآخرين، وتعقيم اليدين، ومنع السفر ذهابًا وإيابًا ونحوه هو في حقيقته عمل بهذه القاعدة الجليلة.

القاعدة الثانية، قاعدة: مسلك الدوران لإثبات العلة.

الدوران لغة: إحداق الشيء بالشيء من حواليه (ابن فارس، 2008م، ص 350) والعلة لغة: تكرُّرٌ أو تكرير (ابن فارس، 2008م، ص 624).

واصطلاحًا: وجود الحكم بوجود الوصف، وعدمه بعدمه (ابن المبرد، 2012م، ص 133).

دليل المسلك من السنة: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين، خَدَلَّجَ الساقين؛ فهو لشريك بن سحماء). (البخاري، 1998م، ص 920).

ووجه الاستدلال: وجود حكم الزنا بوجود هذه الأوصاف، وعدم الحكم إذا عدمت هذه الأوصاف، فهذا دليل على صحة الاستدلال بمسلك دوران العلة في إثباتها.

علاقة هذا المسلك بالطب عامة:

توصَّل الأطباء من خلال تطبيق مفهوم هذا المسلك في تجاربهم على الأغذية والأدوية إلى معرفة فوائدها وتأثيرها: وجودًا، وعدمًا. (الشنقيطي، 1426ه، ص 406).

علاقة هذا المسلك بكوفيد 19 خاصة.

من خلال معرفة أطباء الطب النبوي لتأثير مرض الكورونا على الرئتين، وهذه الرئة بها حويصلات هوائية بها نسيج عضلي، فتبين لهم بذلك أن طبيعة هذا المرض يصيب أصحاب طغيان الرطوبة التي من شأنها إضعاف العضلات الداخلية والخارجية في الجسم، فاستخدموا في علاجها الأعشاب الجافة التي تقوي العضلات مثل: القرفة، والقرنفل، والقسط الهندي، والحبة السوداء، وحب الرشاد، وقد وجدوا لذلك أثرًا عظيما وعاجلًا في الشفاء دون الحاجة للذهاب للمستشفيات، ينظر: (أحمد عبد الله، 2020م).

ومما يشهد لكفاءة الطب العربي دراسةٌ جاءت في جامعة تورو الأمريكية التي أثبتت فعالية القرفة في القضاء على الفيروسات (الوطن، 2018م).

الفصل الثالث: معنى الوباء، ودور السنة النبوية في مكافحته، وجهود أطباء العرب، وموقفنا من الأمصال.

المبحث الأول: معنى الوباء ودور السنة النبوية في مكافحته.

المطلب الأول: معنى الوباء.

الوباء هو: الطاعون، وهو أيضًا كل مرض عام. (الفراهيدي، ج8، ص 418).

وبين الوباء والطاعون عموم وخصوص مطلق، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونًا، وكذلك الأمراض العامة: أعم من الطاعون؛ فإنه واحد منها، والطواعين: خراجات وقروح وأورام رديئة حادثة (ابن القيم، 1957م، ص 30)

المطلب الثاني: دور السنة النبوية في مكافحة الوباء.

إن دور السنة في مكافحة الوباء كما جاء على خطوط عريضة، فقد جاء كذلك على تفصيلات دقيقة لكثير من الأمراض، وأن هذه الخطوط العريضة:

الخطوط العريضة لمكافحة الأوبئة في السنة النبوية:

الخط الأول: مجال صحة الاعتقاد (العلاج النفسي).

أولًا- أن يتوكَّلَ على الله وحده في الشفاء، ولا يعتقد في أن الدواء يشفي بذاته من غير قدر الله وإرادته؛ لأنه لا شيء يتم في الكون دون إرادة الله.

ثانيًا- أن يشرع في التداوي، ولا يتركه؛ لأن تركه ينافي التوكل، يقول ابن القيم: "بل لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعًا، وإنَّ تعطيلها يقدح في نفس التوكل" (ابن القيم، 1957، ص 10).

ومن مقتضيات ومستلزمات هذا التوكل، وكذلك من أعظم الأسباب في الشفاء أن ينطرح العبد بين يدي ربه ومولاه سائلًا منه الشفاء، فمتى حصل ذلك شعر العبد بالاطمئنان وقوي قلبه "فإن القلب متى اتصل برب العالمين، وخالق الداء والدواء، ومدبر الطبيعة، ومصرِّفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه" ينظر: (ابن القيم 1957، ص 7).

والدليل على أن السنة النبوية قد سبقت العالم في العلاج النفسي هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله داءً، إلا أنزل له شفاءً). (البخاري، 1998م، ص 1116) ولا شك أن هذا النص يعطي الأمل لكل مريض بأن الله خلق مع الداء دواءه، وهذا لا تجده في غير الإسلام والسنة النبوية.

يقول ابن القيم: "وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (لكل داء دواء) تقوية لنفس المريض والطبيب .. فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء .. ومتى قويت نفسه ... قويت القوى التي هي حاملة لها؛ فقهرت المرض ودفعته". (ابن القيم، 1957م، ص 12). (عطية، 2002م، 123).

ولا شك أن هذا الاعتقاد يقي النفس شر الخوف الذي يؤدي لضعف المناعة، فكم من صحيح مات بالخوف قبل أن يصيبه ما يخشاه.

وهذا الأمر كما أنه تحدَّث عنه الأطباء قديمًا؛ فإنه كذلك تثبته الدراسات الحديثة، فقد لاحظ الباحثان جانكي جلاسر، ورولاند جلاسر- في بداية ثمانينات القرن الماضي- أن الطلاب الذين يتوترون في فترة الامتحانات النهائية تقل لديهم المناعة الجسمية بشكل ملحوظ، وقد تأكدوا من ذلك مخبريًا (نورس كرزم، 2020م)، (صدى البلد 2020م).

الخط الثاني: في مجال الطب الوقائي.

وهذا المجال لا يصح الأخذ به دون الأخذ بالمجال السابق، وكذلك العمل بالمجال اللاحق بعده، ولكنه ينفرد بإجراءات عملية أخرى، ولهذا أفردته بالبحث ها هنا.

ولقد كان للسنة النبوية السبق قبل العالم كله في هذا المجال الوقائي بأدلة السنة، وبما شهد به أهل الملل الأخرى، فالرسول صلى الله عليه وسلم سبق العالم المعاصر في العمل بالتدابير الوقائية في الطب، وإليكم الأدلة:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطاعون رِجْزٌ أُرْسِلَ على طائفة من بني إسرائيل، وعلى مَن كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرضٍ؛ فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض- وأنتم فيها- فلا تخرجوا منها فراراً منه). (البخاري، 1998م، ص 669).

أليس هذا نفسه ما تفعله الدول اليوم من حظر السفر منها وإليها عند إصابتها بوباء الكورونا؟

وكذلك ما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (غطوا الإناء، وأوكوا السقاء؛ فإن في السنة ليلةً ينزل فيها وباءٌ: لا يمر بإناء ليس عليه غطاءٌ، أو سقاءٍ ليس عليه وكاءٌ إلا نزل فيه من ذلك الوباء) (مسلم، 1998م، ص 836).

إذن فقد سبقت السنة النبوية العالم كله في العمل بالطب الوقائي.

الخط الثالث: في مجال الطب العلاجي.

وهذا المجال مرتبط تمام الارتباط بالمجالين اللذين قبله، ولا يصح بدونهما، فالله هو الشافي، ولابد من الأخذ بالأسباب وعدم الاعتقاد فيها، ولا الميل القلبي لها، وكذلك يجب الوقاية من مسببات المرض، فالوقاية خير من العلاج.

والأصل في الطب النبوي أنه يقوم في العلاج على الغذاء، يقول ابن القيم: "وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء، لا يعدل إلى الدواء، ...، قالوا: وكل داء قُدِرَ على دفعه بالأغذية والحمية؛ لم يحاول دفعه بالأدوية". (ابن القيم، 1957م، ص 6).

والمقصود بالعلاج بالغذاء في الطب النبوي هو: الاعتدال في تناول الأكل والشرب من حيث: الكثرة من جهة، ومن حيث نوعية الأكل وطبعه من جهة أخرى، وذلك أن كل غذاء له طبع: إما حار، وعكسه بارد، وإما جاف وعكسه رطب (ابن القيم، 1957م ص 4)، فطبائع الأغذية أربعة، والإنسان ابن بيئته، فإذا أكثر مِن تناول أغذية لها طبع واحد فإنه يتطبع بها، ويصيبه المرض.

والمقصود بالحار هو: الذي يولد الحرارة في الجسم، وبالتالي يحدث النشاط والحركة في الجسم، ويدفعه نحو العمل، ويجعل نفس صاحبه في سعادة وارتياح، ولكن في حالة الإكثار منه لفترة طويلة؛ فإنه يؤدي إلى أمراض الحرارة.

والمقصود بالبارد، هو: الذي يولد البرودة في الجسم، وبالتالي يحدث في الجسم الخمول والكسل، والإكثار منه لفترة طويلة يؤدي إلى أمراض البرودة، وهي أكثر أمراض العصر الذي نعيشه، مثل: مرض السكري، والضغط بنوعيه، والأورام، والأمراض الجلدية، ويصيبه الأرق والتوتر، ونحو ذلك.

والمقصود بالجاف هو: الذي يولد الجفاف في الجسم، وبالتالي يقوي عضلات الجسم الداخلية والخارجية، وعند طغيان الجفاف فإنه يولد أمراضًا خاصة به.

والمقصود بالرَّطْب هو: الذي يولد الرطوبة في الجسم، وفي حالة طغيانها؛ فإنها تضعف عضلات الجسم الداخلية والخارجية وهنا قاعدتان ينبغي الأخذ بهما، وهما الكسر والمنع.

القواعد الطبية في العلاج المستنبطة من السنة النبوية:

القاعدة الأولى: قاعدة الكسر– وذلك في حالة اعتدال الصحة، فيوازن الإنسان بين طبائع الأطعمة والأغذية، ويجعل طعامه يجمع بين الحار والبارد، والجاف والرطب، والدليل على هذه القاعدة أن الرسول

صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ بالرطب، ويقول: (نكسر حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر هذا). (أبو داود، 1999م، ص 546)، (الألباني، 1998م، ج2، ص 455) ويقصد بالحر: حرارة التمر، وبالبرد: برودة البطيخ.

القاعدة الثانية: قاعدة المنع- وذلك في حالة المرض بسبب تناول الإنسان لأغذية ذات طبع واحد لمدة طويلة، فيطغى هذا الطبع تبعًا لطبع الغذاء، وبالتالي يورث عنده أمراضًا، والدليل على هذه القاعدة أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان مريضًا بالحمى، فأراد أن يأكل من التمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (مَهْ؛ إنك نَاقِهٌ) ثم أمر أن يُصنع له سلق وشعير، ثم قال له: (يا علي، أصب من هذا؛ فهو أنفع لك). (أبو داود، 1999م، ص 549)، (الألباني، 1998م، ج2، ص 461- 462).

ومعلوم أن السلق والشعير باردان، فعالج الحرارة بالبرودة، وذلك عند المرض.

علاقة هذه القواعد بعلاج الكورونا:

لا شك أن نوعية الغذاء لها أثر كبير في تقوية الجسم على مقاومة الأمراض، فمثلًا من لديه طغيان في الرطوبة أو البرودة وجب عليه أن يتجنب الأغذية التي لها نفس الطبع، ويتناول الأغذية المضادة لها في الطبع، فيقتصر على الأغذية ذات الطباع الجافة والحارة، حتى يعتدل طبعه ويكون أهلًا لعمل التوازن في الغذاء.

وفي حالة إصابة المريض بالكورونا فإنه يقتصر طعامه على الأغذية الجافة والحارة، وكذلك الأعشاب التي تحمل نفس الطبيعتين، وهذا هو السر وراء شفاء كل من مرض بالكورونا وتعافى منها باستخدام هذه الأعشاب، وصدق رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال: (الحبة السوداء شفاء من كل داء). (البخاري، 1998م، ص 1117) والسبب في ذلك أن طبعها جاف حار، (التركماني، 2000م، ص 198) والغذاء الجاف علاج لأكثر الأمراض، ولكن لها نسب معينة في الدواء يعرفها الأطباء.

المبحث الثاني: جهود أطباء العرب، وموقفنا من الأمصال.

المطلب الأول: جهود أطباء العرب.

أولًا- جهود أطباء العرب قديمًا:

من أوائل الأطباء العرب هو الحارث بن كَلَدَةَ الثقفي (ت 13ه) ولم يصلنا له كتاب مؤلف إلا محاورة له مع كسرى أنو شروان (عطية، 2002م، ص 146)، وله أقوال وحكم مأثورة في الطب منها: "الحمية رأس الدواء، والمعدة بيت الداء" (ابن القيم، 1957م).

ثم تلاه ابن أثال طبيب معاوية بن أبي سفيان، ومعاصره: أبو الحكم الدمشقي، ثم يحيى النحوي، وخالد بن يزيد بن معاوية، ثم جاءت الدولة العباسية وانتشرت الترجمة عن اليونان ومنها كتب الطب وفيها ظهر الطبيب البارع حنين بن إسحاق، ثم جاء عصر الإبداع مع ابن سينا الطبيب الفيلسوف وتبعه تلامذته (عطية، 2002م، ص 145- 215).

وما زال التاريخ يشهد للمسلمين العرب وغير العرب الذين برعوا في الطب النبوي، وطوروه حتى سمي بالطب العربي، وكما برع العرب في الطب فقد برعوا كذلك في العقاقير والصيدلة، ولكنهم لا يلجؤون للعقاقير إلا إذا عجزوا عن العلاج بالغذاء، وإذا عالجوا بالعقاقير استعملوا المفردات قبل التراكيب، وإذا اضطروا للتراكيب استعملوا أقل التراكيب (د. حسين وغيره، ص 334)

وكانت أوروبا جميعها تدرس طب ابن سينا- في جامعاتها- القائم على طبائع الأغذية والأعشاب حتى القرن الثامن عشر الذي تم فيه اكتشاف المجهر، وهنا ظهرت نظرية الجراثيم، وبدأ الطب يتجه رويدًا رويدًا لاستخدام الكيمياء في العلاج، واتجه ليحارب مظاهر المرض من الجراثيم بالكيماء، وأهمل علاج الطبائع التي هي السبب الحقيقي للمرض، وتُرِكَ طب الطبائع الذي هو الطب النبوي الأصيل.

ثانيًا- جهود أطباء العرب حديثًا:

كان الطبيب العربي قديمًا يسمى بالحكيم، ولهذا كانت أكبر المراكز العلمية في عهد هارون الرشيد تسمى: دار الحكمة (عطية، 2002م، ص 164)، ولا يزال اسم الحكيم يطلق على الطبيب إلى يومنا

هذا في باكستان والهند اللتين احتضنتا الطب النبوي العربي الأصيل وعملتا به إلى يومنا هذا، وطورتا مدارسه.

وقد تطور الطب العربي في العصر الحديث في هذين البلدين تطوراً كبيراً جدًّا، ولكن لم يسمع عنه كثير من الناس؛ لأن تطوره في بلاد غير ناطقة باللغة العربية، ولغتهم الأساسية هي الأوردو، ولذلك مراجعهم في الطب لم تنتشر في بلاد العرب.

المدارس الطبية في الطب العربي:

المدرسة الثنائية:

وكان الطب النبوي العربي قديمًا يقوم على طبيعتين فقط، وهما: الحرارة والبرودة، وظل هكذا فترة طويلة وتسمى بالمدرسة الثنائية في الطب؛ لأنها تقوم على طبيعتي: الحرارة، والبرودة كما في كتب أطباء العرب جميعًا كابن سينا وجميع من كتب في الطب العربي القديم.

المدرسة الثلاثية:

وهذه المدرسة والتي بعدها نشأتا في باكستان، ولأنه لا توجد مراجع مترجمة بلغة الأوردو، فلم أجد بُدًّا من أن أتلقى المعلومات عنها من فم الحكيم/ ياسر بن حبيب بن إسماعيل الباكستاني؛ لأنه الطبيب الوحيد الناطق باللغة العربية والممثل لهذه للمدرسة الطبية الرباعية.

حدثني الحكيم/ ياسر بن حبيب بن إسماعيل الباكستاني أنه لما ظهر المجهر وظهرت الأبحاث الخاصة بعلمي: الخلية، والأنسجة ظهرت المدرسة الثلاثية في الطبائع في باكستان على يد الحكيمين: محمد صابر ملتاني، ومحمد يس، وقامت هذه المدرسة على ثلاث طبائع وهي: الحرارة، والجفاف، والرطوبة، وألغت البرودة؛ لأنها اعتبرت أن البرودة لا تصير إلا مع الموت، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (نكسر حر هذا ببرد هذا) الحديث، فذكر الحرارة والبرودة.

ومن كتب الحكيم/ محمد صابر ملتاني كتاب: تحقيقات إعادة شباب- باللغة الأوردية.

ومن كتب الحكيم/ محمد يس كتاب: كتاب: تعارف قانون مفرد أعضاء- باللغة الأوردية.

وهنا ظهرت طفرة علمية كبيرة بعد ظهور المجهر وهي الربط بين علم الأنسجة وعلم الطبائع، وأشهر من ربط بينهما هو الحكيم/ محمد صابر ملتاني، وكان هذا الظهور في ستينيات القرن العشرين مع أنه يوجد ذكر للأنسجة في كتب الطب العربي قبله، والذي يبدو لي- والله أعلم- أنه لعل هذا الذكر كان سببًا في لفت انتباهه إلى الربط بينهما.

المدرسة الرباعية:

وجاءت هذه المدرسة الرباعية بعد المدرسة الثلاثية على يد الحكيم/ رحمت علي راحت الباكستاني الذي قرر أربع طبائع وهي: الحرارة، والبرودة، والجفاف، والرطوبة، ومن كتبه: كليات علم الأبدان.

وفي باكستان توجد مدرسة الطب اليوناني، وهو نفسه الطب العربي، وإن اختلفت المسميات؛ لأن الجميع قائم على طب الطبائع في التشخيص والعلاج (الحكيم ياسر بن حبيب، مقابلة شخصية، 28 ديسمبر 2020م).

المطلب الثاني: موقفنا من الأمصال:

الأصل في الأمصال أنها تقوم على حقن الجسم بميكروبات حية يتم إضعافها مثل الحصبة، أو من ميكروبات غير حية مثل لقاح السعال الديكي، أو من سموم بعض أنواع البكتيريا بعد معالجتها بحيث لا تؤذي الإنسان، وفي الوقت نفسه لا تفقد قيمتها المناعية (المزروع، 1996م، ص 46)، وبالتالي تنشط مناعة الجسم لمقاومته، وتكوِّنُ أجسامًا مضادة لتقاومه، وبالتالي لا يقدر المرض على دخول الجسم مرة أخرى؛ لوجود هذه الأجسام المضادة.

ولأن ديننا الحنيف حرَّم استخدام المحرَّمات في أي شيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار). (ابن ماجهْ، 1999م، ص 335)، (الألباني، 1988م، ج2، ص 1249) وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حَرَّمَ عليكم). (البخاري، 1998م، ص 1104) وقول ابن مسعود رضي الله عنه في حكم المرفوع، فهنا كان لابد من اشتراط شرطين لتعاطي أي مصل من الأمصال وفق هذه الأدلة الشرعية، وهما كالآتي:

شروط تعاطي الأمصال:

1- أن تخلو من المحرَّمات، كالخمر والنجاسات ونحو ذلك مما حرمته الشريعة.

2- أن تخلو من مخاطر تؤدي إلى إيذاء البشر.

فإن خلت الأمصال من هذين المحظورين فلا حرج فيها، وهذا يتوقف على شهادة جمع من الأطباء المسلمين الموثوق بأمانتهم وصدقهم.

السبب في وضع هذه الشروط:

1- أن صانعيها ليسوا مسلمين، وهم يستحلون الخمر، وكثير من النجاسات.

2- أنهم لا يتورعون عن وضع ما قد يؤذي البشر ولو بغير قصد، فنحن نرى أكثر الأدوية تحتوي على مواد خطرة، فقد تعالج من جهة، وتؤذي من جهة أخرى، وأقل دليل على ذلك هو ما تفعله أدوية الأورام في الظاهر من سقوط الشعر، ونحوه.

فكل هذا يدعونا للتكاتف لإنشاء منظمة للصحة العالمية في ضوء توجيهات السنة النبوية في الطب.

نتائج البحث:

خلصت من البحث بنتائج، منها الآتي:

1- أن السنة النبوية شاملة لإصلاح جميع أمور الحياة من الدين والطب معًا.

2- أن الطب الأصيل هو طب الأنبياء؛ لأنه وحي من رب السماء، الذي يعلم ما يصلح علاجًا وما لا يصلح.

3- أن الأخذ بالسنة النبوية سعادة للمرء في الدنيا والآخرة لمن أخذ بها وعمل بمقتضاها.

4- أن أطباء العرب جعلوا من أدلة السنة النبوية قواعد عامة وأخرى خاصة لعلاج كل مرض.

5- أن السنة النبوية كافية في إيجاد الحلول الطبية لكل مرض بتوجيهات مَن لا ينطق عن الهوى.

توصيات البحث:

1- ضرورة تبني الدول الإسلامية للطب النبوي تعليمًا وتدريسًا.

2- ضرورة إنشاء منظمة صحية عالمية للطب النبوي، يكون أعضاؤها معروفون بالثقة والأمانة.

3- الاهتمام بالطب العربي بتصحيح مساره وفق آخر التطورات، والبدء من حيث انتهى الآخرون.

4- استقطاب أطباء العرب المعاصرين من جميع الدول عامة، ومن باكستان والهند خاصة حيث انحصرت فيهما جهود الأطباء حول الطب العربي، وتطورت من المدرسة الثنائية في الطبائع إلى الثلاثية، وأخيرًا الرباعية، فهؤلاء نوادر العصر في الطب النبوي فيجب استثمارهم، والانتفاع بعلمهم.

5- ترجمة المراجع الطبية من الأوردو والفارسية ودراستها ونشرها للاستفادة منها.

6- التوفيق بين الطب العربي وما آلت له الدراسات الحديثة الطبية العربية والأجنبية.

فهرس المصادر والمراجع:

ابن أبي حاتم، محمد بن عبد الرحمن الرازي. (2003م). آداب الشافعي ومناقبه. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 1.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي. (1957م). الطب النبوي. بيروت: دار الفكر.

ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي. (2012م). غاية السول. الكويت: لطائف. ط: 1.

ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المصري الحنبلي. (2000م). مختصر التحرير. الرياض: دار الزاحم. ط: 1.

ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المصري الحنبلي. (2009م). شرح الكوكب المنير. الرياض: العبيكان. ط: 2.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (2008م). مقاييس اللغة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن ماجهْ، محمد بن يزيد الربعي (1999م) سنن ابن ماجهْ. الرياض: دار السلام. ط: 1.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (1999م) سنن أبي داود. الرياض: دار السلام. ط: 1.

أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي. (1993م). العدة في أصول الفقه. المملكة العربية السعودية. ط: 3.

الألباني، محمد بن ناصر الدين. (1988م) صحيح الجامع الصغير. بيروت: المكتب الإسلامي. ط: 3.

الألباني، محمد بن ناصر الدين. (1998م). صحيح سنن أبي داود. الرياض: مكتبة المعارف. ط: 1.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1998م). صحيح البخاري. الرياض: بيت الأفكار الدولية.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1411ه). معالم التنزيل. الرياض: دار طيبة.

التبريزي، علي بن عبد الله بن الحسن. (2008م). الكافي في علوم الحديث. الأردن/ عمان: الدار الأثرية. ط: 1.

التركماني، يوسف بن عمر بن علي (2000م). المعتمد في الأدوية المفردة. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 1.

حسين، د. محمد كامل، وغيره. الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب. ليبيا: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

زبيلة د. أحمد بن محمد. (1408ه) أحاديث الطب النبوي في الكتب الستة. مكة المكرمة: جامعة أم القرى. رسالة ماجستير.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1347ه). مفتاح الجنة. مصر: إدارة الطباعة المنيرية بشارع الكحكيين نمرة: 1.

الشافعي، محمد بن إدريس. (2008م). الرسالة، شرح وتحقيق أحمد شاكر. القاهرة: دار الآثار. ط: 1.

عطية، د. جميل عبد المجيد. (2002م) تنظيم صنعة الطب. الرياض: مكتبة العبيكان. ط: 1.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. (1994م) الذخيرة. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط: 1.

المزروع، د. عبد الرحمن (1996م). المناعة، مقال التطعيم. السعودية: مجلة العلوم والتقنية. عدد: 27.

مقابلة مع الحكيم/ ياسر بن حبيب بن إسماعيل الباكستاني، مجدد المدرسة الرباعية في الطب العربي الحديث، 28 ديسمبر 2020م.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (1998م) صحيح مسلم. الرياض: بيت الأفكار الدولية.

روابط مواقع على الشبكة العنكبوتية:

1- أحمد عبد الله، موقع الرأي– 2020م. https://www.alraimedia.com/article/879713/

2- قناة صدى البلد 2020م:

https://www.youtube.com/watch?v=adwHyrOqfDI&feature=youtu.be

3- موقع الوطن: https://alwatannews.net/article/754567/Life-

4- نورس كرزم– مجلة أفاق البيئة والتنمية: https://www.maan-ctr.org/magazine/article/2582/